بـاب
فى قسمة غنائم[1] حُنَيْن وما جَرَى فيها

ثم انصرف رسول الله – ﷺ – إلى الجِعرانة : موضع قريب من حنين . وكان قد استأنى[2] بقسمة الغنائم رجاء أن يُسْلموا ويرجعوا إليه . فلما قُسمت الغنائم /هنالك أتاه ١٢٨ ظ
وفد هوازن مسلمين راغبين فى العطف عليهم والإحسان إليهم ، فقال لهم : قد كنت استأنيت بكم وقد وقعت المقاسم ، وعندى ما ترون[3] فاختاروا : إما ذَرَاريكم ونساءكم وإما أموالكم ، فاختاروا العِيال والذُّرِّيَّة وقالوا : لا نعْدل بالأنساب شيئا ، فقال لهم رسول الله – ﷺ – إذا صَلَّيت الظُّهْرَ فتكلموا واطلبوا حتى أكلِّم الناس فى أمركم . فلما صلَّى الظهر تكلموا ، وقالوا : نستشفع برسول الله – ﷺ – على المسلمين . فقال النبى – عليه السلام – أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب وبنى هاشم فهو لكم ، وقال المهاجرون والأنصار : أما ما كان لنا فهو لرسول الله – عليه السلام – وامتنع الأقرع بن حابس وعُيَيْنَة بن حصن فى قومها[4] أن يردُّوا عليهم شيئا مما وقع لهم فى سهامهم . وامتنع العباس بن مرداس السُّلَمى وطمع أن يساعده قومه كما ساعد الأقرع بن حابس وعيينة قومها فأبت بنو سُلَيْم وقالوا : بلى ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله – عليه السلام – من ضَنَّ منكم بما فى يديه فإنا نعوِّضه منه .

فردَّ عليهم رسول الله – ﷺ – نساءهم وأبناءهم وعوَّض من لم تَطب نفسه بترك نصيبه أعواضا رضوا بها . وكان عدد سبى هوازن ستة آلاف إنسان فيهم الشَّيْمَاء أُخت

---

(١) انظر فى غنائم حنين وعطايا المؤلفة قلوبهم ابن هشام ١٣٠/٤ وابن سعد ج٢ ق١ ص ١١٠ والطبرى ٨٦/٣ وابن حزم ص ٢٤٥ وابن سيد الناس ١٩٣/٢ وابن كثير ٣٥٢/٤ والنويرى ٣٣٩/١٧ .

(٢) استأنى : انتظر .

(٣) ما ترون : أى ما سأعرضه عليكم .

(٤) قوم الأقرع تميم وقوم عيينة فزارة .

النبي – عليه السلام – من الرضاعة/وهي بنت الحارث بن عبد العُزَّى من بني سعد بن بكر [بن هوازن][١] بنت حَليمة السَّعْدية ، فأكرمها رسول الله ﷺ وأعطاها ، ورجعتْ إلى بلادها مسرورة بدينها وبما أفاءَ الله عليها . ١٢٩ و

وقَسَم رسول الله – ﷺ – الأموال[٢] بين المسلمين . وأعطى المؤلَّفة قلوبهم وغيرهم من الخُمُس أو من جملة الغنيمة على مذهب من رأى أن ذلك إلى اجتهاد الإمام ، وأن له أن يُنْفل[٣] في البَدْأة والرَّجعة [حسب] ما رآه بظاهر قول الله تعالى : (قل الأنفال لله والرسول) يحكم فيها بما أراه الله . وليس ذلك لغيره ﷺ بظاهر قوله عزَّ وجلَّ : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خُمُسَهُ) . وللقول في تلخيص ذلك مواضع غير هذا .

[أعطيات المؤلفة قلوبهم]

ولم يختلف أهل السِّير وغيرهم أن رُسول الله – ﷺ – أعطى المؤلفة قلوبهم من قريش وغيرهم ، ولا ذكر للمؤلفة قلوبهم في غير آية[٤] قَسْم الصدقات . قالوا : أعطى قريشا مائة بعير مائة بعير ، وكذلك أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس .

قال ابن إسحق : أعطاهم يتألفهم ويتألف بهم قومهم وكانوا أشرافا ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حِزام مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُوَيْطب بن عبد/العُزَّى مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أُمية مائة بعير ، وكذلك أعطى ١٢٩ ظ
مالك[٥] بن عوف والعلاء بن جارية [الثقفي[٦] حليف بني زهرة]. قال : فهؤلاء

---

(١) زيادة من المصادر الأخرى للإيضاح .

(٢) كانت الأموال – فيما ذكر ابن سعد وغيره – أربعة وعشرين ألف بعير وأربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة .

(٣) ينفل : يعطى من النفل وهو غنيمة الحرب .

(٤) يريد آية التوبة : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .

(٥) كان قد فر عن الطائف ولحق بالرسول معلناً إسلامه .

(٦) زيادة من ابن هشام .

أصحاب[١] المئين .

وأعطى رجالا من قريش دون المائة ، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهْرىّ ، وعمير بن وهب الجُمَحى ، وهشام بن عمرو العامرى – لا أعرف ما أعطاهم[٢] . وأعطى سعيد بن يربوع خمسين بعيرا ، وأعطى عباس بن مرداس السلمى أباعر قليلة ، فتسخَّطها وقال فى ذلك :

وكانتْ نِهَابًا تلافيتُها ... بِكَرِّى على المُهْرِ فى الأجْرَعِ[٣]
وإيقاظىَ القومَ أن يَرْقدوا ... إذَا هجع الناسُ لم أهْجَعِ
فأصبح نَهْبى ونَهْبُ العُبيـ ... ـدِ بين عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ[٤]
وقد كنت فى الحرب ذا تُدْرَإٍ ... فلم أُعْطَ شيئا ولم أُمْنَعِ[٥]
إلا أفائِلَ أُعْطِيتُها ... عديدَ قوائمها الأَرْبَعِ[٦]
وما كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ ... يفوقان شَيْخِىَ فى المَجْمَعِ[٧]
وما كنت دون امرئ منهما ... ومَنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

فقال رسول الله ﷺ – اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه . وقيل إن عباس بن مرداس أتى رسول الله – ﷺ – بعد ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ – أنت القائل : « فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة » فقال أبو بكر الصديق : « بين عيينة والأقرع » . فقال رسول الله / ﷺ : هما واحد . وقال ١٣٠ و
أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله عزّ وجل : (وما علّمناه الشعر وما ينبغى له) .

قال أبو عمر :

لو كان ما أُعطى رسول الله – ﷺ – المؤلفة قلوبهم من غنائم حُنَيْن من خُمُس

---

(١) ذكر منهم ابن هشام عن ابن إسحق الحارث بن الحارث بن كلدة وهو مذكور فى المهاجرين إلى الحبشة ، ولذلك لم يذكره ابن عبد البر لأنه لا يدخل فى هؤلاء المؤلفة قلوبهم ، فقد أكرمه الله بالإسلام مبكرًا والهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة .

(٢) اى لا أعرفه مضبوطاً .

(٣) نهابا : غنائم جمع نهب . الأجرع : المكان السهل .

(٤) العبيد : فرس العباس بن مرد .

(٥) تدرأ : دفع وشجاعة .

(٦) أفائل : جمع أفيل وهو البعير الصغير .

(٧) يريد بقوله : «شيخى» أباه مرداسًا .

الخُمُس كما زعم من زعم ذلك أو من الخمس الذى قال فيه ﷺ : « مالى من غنائمكم إلا الخمس ، والخمس مردودٌ عليكم » ما شقَّ ذلك – والله أعلم – على الأنصار ، حتى قالوا ما هو محفوظ عنهم . وقد كتبت ذلك فيما بعد . ولكنه – ﷺ – علم من إيمانهم وكرمهم أنهم سيرضون بفعله ، لأن حرصهم على ظهور الدين من حرصه ، رضى الله عنهم .

تسمية[١] المؤلفة قلوبهم

من بنى أُمية : أبو سفيان بن حرب بن أُمية ، وابنه معاوية ، وطليق بن سفيان بن أُمية ، وخالد بن أَسيد بن [أبى][٢] العِيص بن أُمية .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، وأبو السَّنابل بن بعْكَك ، وعكرمة بن عامر بن هاشم[٣] .

ومن بنى مخزوم : زهير بن أبى أُمية ، والحارث بن هشام ، وأخوه خالد بن هشام ، وهشام[٤] بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد ، والسائب بن أبى السائب .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيع بن الأسود ، وأبو جهم بن حذيفة .

ومن بنى جُمح : صفوان/بن أُمية بن خلف ، وأخوه أُحيْحة بن أُمية ، وعمير بن وهب بن خلف . ١٣٠ ظ

ومن بنى سهم : [عدى[٥] بن] قيس بن حذافة .

ومن بنى عامر بن لؤى : حُوَيْطب بن عبد العُزَّى ، وهشام بن عمرو بن ربيعة .

ومن سائر قبائل العرب : من بنى الدِّيل[٦] بن بكر بن عبد مناة : نوفل بن معاوية .

ومن بنى قيس ثم من بنى عامر بن صعصعة ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر :

---

(١) انظر فى أسماء المؤلفة قلوبهم المحبر لابن حبيب ص ٤٧٣ .

(٢) زياد من ر وابن هشام .

(٣) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب وغيرهما وفى الأصل ور : هشام .

(٤) أخو خالد بن الوليد .

(٥) زيادة من ر وابن هشام وغيره .

(٦) فى الأصل : الديلى .

علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب ، ولبيد بن ربيعة بن مالك ابن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن صعصعة : خالد بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر ، وأخوه حَرْملة بن هوْذة .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .
ومن بنى سُلَيْم بن منصور : عباس بن مرداس .
ومن غطفان ثم من فزارة : عُيَيْنة بن حِصْن .
ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرع بن حابس .

وقد ذُكر فى المؤلفة حكيم بن حِزام والنُّضَيْر[1] بن الحارث بن علقمة بن كلدة أخو النضر بن الحارث المقتول ببدر صبر . وذكر آخرون النضير بن الحارث فيمن هاجر إلى أرض الحبشة فإن كان منهم فمحال أن يكون من المؤلفة قلوبهم . ومن هاجر إلى أرض الحبشة فهو من /المهاجرين الأولين ممن رسخ الإيمان فى قلبه ، وقاتل دونه ، ليس ممن يؤلَّف عليه . ١٣١ و

وعند إعطاء رسول الله – ﷺ – ما أعطى المؤلفة قلوبهم ولم يُعْط الأنصار ولا المهاجرين قال ذو الخُوَيْصِرة [التميمى][2] : قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم يا محمد ! فقال له رسول الله – ﷺ : أجل ، فكيف رأيت ؟ قال : لم أرك عدلْتَ . فغضب النبى عليه السلام ، وقال : ويْحك إن لم يكن العدْلُ منى[3] فعند مَنْ يكون ؟ فقال عمر رضى الله عنه : دعْنى أضربْ عنقه يا رسول الله ، فقال : لا ، دعوه ، سيكون له شيعة[4] يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة .

---

(١) فى ابن هشام : نصير ، وانظر ترجمته فى الاستيعاب ص ٣١٥ .
(٢) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٣) فى ابن هشام ور : عندى .
(٤) هم الخوارج لعهد على إذ كان من زعمائهم .

موقف[١] بعض الأنصار

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال :

لما أعطى رسول الله – ﷺ – تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب . ولم يكن فى الأنصار منها شىء وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة[٢] ، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحىَّ من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم بما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبتَ : قسمتَ فى قومك وأعطيت قوما من العرب عطايا عِظاما ، ولم يكن فى هذا الحىِّ من الأنصار منها شىء ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومى ، قال : فاجمعْ لى قومك / فى هذه الحَظِيرة ، قال : فخرج سعد فجمع من الأنصار فى تلك الحظيرة ، وجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردَّهم . فلما اجتمعوا أتاه سعد ، فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار . ١٣١ ظ

فأتاهم رسول الله – ﷺ – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ما قالةٌ بلغتنى [عنكم][٣] ووجدة[٤] وجدتموها فى أنفسكم ، ألم آتكم ضُلاَّلا فهداكم الله وعالةً[٥] فأغناكم الله وأعداء فألَّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى لله ورسوله المَنُّ[٦] والفضل . ثم قال : ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المنُّ والفَضْل . فقال : أما والله لو شئتم لقلتم [فَصَدَقْتم][٧] ولصُدِّقْتُمْ : أتيتنا مكذَّبا فصدَّقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فواسَيْناك[٨] .

---

(١) انظر فى ذلك صحيح البخارى ١٥٧/٥ والطبرى ٩٣/٣ .

(٢) القالة : القول السيِّئ .

(٣) زيادة من ر وابن هشام والطبرى .

(٤) وجدة : موجدة وعتاب .

(٥) عالة : جمع عائل وهو الفقير .

(٦) المن : النعمة .

(٧) زيادة من ر وابن هشام والطبرى .

(٨) واسيناك : من المواساة وهى المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق .

أوجدتم – يا معشر الأنصار – فى أنفسكم فى لُعَاعَةٍ[١] من الدنيا تألفتُ بها قوما ليُسْلموا ووكلتكم إلى إيمانكم ، ألا ترضون – يا معشر الأنصار – أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم ؟ . والذى نفسُ محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعْبا[٢] وسلكت الأنصار شِعْبا لسلكت شِعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبْناءِ الأنصار . قال : فبكى القوم حتى أخضلوا[٣] لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله – صلى الله/عليه وسلم – قسما وحظا . ١٣٢ و
فانصرف رسول الله ﷺ وتفرَّقُوا .

ورُوِىَ أن قائلا قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أعطيتَ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، وتركتَ جُعَيْل بن سُرَاقة الضَّمْرِى ؟ فقال رسول الله : والذى نفسُ محمد بيده لَجُعَيْلُ بن سراقة خير من طِلاع[٤] الأرض مثل الأقرع وعيينة ولكنى تألفتهما ليُسْلما ووكلتُ جعيلا إلى إسلامه .

وكان هذا القَسْم بالجِعرانة . وروى أبو الزبير وغيره عن جابر ، قال : بصرتْ عيناى رسول الله – ﷺ – بالجِعْرانة ، وفى ثوب بلال فضَّة ، ورسول الله – ﷺ – يقبض ويعطى الناس .

عمرة رسول الله من الجِعْرانة

ثم خرج رسول الله – ﷺ – معتمرا من الجِعْرانة إلى مكة[٥] ، وأمر ببقايا الفَىْء فخُمِّس بناحية مَرّ[٦] الظَّهْران . فلما فرغ رسول الله – ﷺ – من عمرته انصرف إلى المدينة ، واستخلف على مكة عتَّاب بن أسيد بن أبى العِيص ، وهو ابن نيِّفٍ وعشرين سنة .

---

(١) اللعاعة : بقل أخضر ناعم شبه به متاع الدنيا ، وأنه قليل لا يدوم .

(٢) الشعب : الطريق بين جبلين .

(٣) أخضلوا لحاهم : سكبوا عليها دموعهم .

(٤) طلاع الأرض : ما يطلع منها كناية عن عدم رسوخهم فى الإسلام .

(٥) كان ذلك ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة مضت من ذى القعدة . والجعرانة : ماء بين الطائف ومكة

(٦) مر الظهران : على موحلة ، كما سلف ، من مكة .

ودخل رسول الله – ﷺ – المدينة لست[١] بقين من ذى القعدة . وكانت وقعة الطائف فى ذى القعدة المؤرخ من السنة الثامنة من الهجرة . وكانت غيبة رسول الله – ﷺ – منذ خرج من المدينة إلى مكة فافتتحها وأوقع / بهوازن وحارب الطائف إلى أن ١٣٢ ظ
رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوما .

واستعمل رسول الله – ﷺ – مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع النَّصْرى على مَنْ أسلم من قومه من قبائل قيس . وأمره بمغاورة[٢] ثقيف ، ففعل ، وضيَّق عليهم . وحسُن إسلامه وإسلام المؤلفة قلوبهم حاشا عُيَيْنة بن حِصْن ، فلم يزل مغموزا عليه .

وسائرُ المؤلفة قلوبهم منهم الخَيِّر الفاضل المُجْمَعُ على خيره كالحارث بن هشام ، وحكيم بن حِزَام ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو . ومنهم دون هؤلاء . وقد فضَّل الله النبيين وسائر عباده المؤمنين بعضهم على بعض ، وهو أعلم بهم .

ثم انصرف رسول الله – ﷺ – وتفرَّقوا . وأقام الحج للناس عتَّاب بن أَسِيد فى تلك السنة[٣] ، وهو أول أمير أقام الحج فى الإسلام . وحجَّ المشركون على مشاعرهم . وكان عتَّاب بن أَسيد خَيِّرًا فاضلا ورعًا .

وقدم كعب بن زُهير بن أبى سُلْمَى على رسول الله – ﷺ – مسلما ، وامتدحه ، وقام على رأسه بقصيدته التى أولها : بانتْ سُعاد فقلبى اليوم مَتْبولُ[٤] . وأنشدها إلى آخرها ، وذكر فيها المهاجرين فأثنى عليهم . وكان قبل ذلك حُفِظ له هجاء فى النبى عليه السلام ، فعاب عليه الأنصار إذ لم يذكرهم ، فغدا على النبى – عليه السلام – بقصيدة / يمدح فيها ١٣٣ و
الأنصار[٥] . وقبل النبى – عليه السلام – إسلامه وسمع شعره وأثابه[٦] .

---

(١) فى بعض الروايات : فى أول ذى الحجة .

(٢) مغاورة ، يقصد الإغارة عليها تلو الإغارة .

(٣) وهى السنة الثامنة للهجرة .

(٤) بانت : بعدت ، متبول : أسقمه الحب وأضناه .

(٥) انظر القصيدة فى ديوانه (طبع دار الكتب المصرية) ص ٦ .

(٦) انظر قصة إسلامه وثواب الرسول له فى ابن هشام ١٤٤/٤ .

غزوة[١] تَبُوك

ثم أقام رسول الله – ﷺ – بالمدينة بعد انصرافه من حصار الطائف ذا الحجَّة والمحرم وصفرًا وربيعا الأول وربيعا الآخر وجُمَادى الأُولى وجمادى الآخرة . وخرج فى رجب من سنة تسع بالمسلمين إلى غزوة الروم ، وهى آخر غَزاة غزاها – ﷺ – بنفسه . وكان خروجه إلى غزوته تلك فى حر شديد [وحين[٢] طاب] أول الثمر وفى عام جَدْب .

وكان رسول الله – ﷺ – لا يكاد يخرج غازيا إلا ورَّى[٣] بغيره إلا غزوة تبوك ، فإنه بيَّنها للناس لبعد المسافة ونفقة المال والشُّقَّة وقوة العدو المقصود إليه . فتأخَّر الجَدُّ بن قيس من بنى سَلِمة ، وكان متَّهما بالنفاق فاستأذن رسول الله – ﷺ – فى البقاء وهو غنىٌ قوى فأذن له ، وأعرض عنه فنزلتْ فيه[٤] : (ومنهم من يقول ائْذَنْ لى ولا تَفْتِنِّى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) . وكان نفر من المنافقين[٥] يجتمعون فى بيت سُوَيْلِم اليهودى عند جاسوم[٦] يثبِّطون الناس عن الغزو . فبعث رسول الله – ﷺ – طلحة بن عبيد الله فى نفر ، وأمرهم أن يحرِّقوا / عليهم البيت ، ففعل ذلك طلحة . فاقتحم ١٣٣ ظ
الضحاك بن خليفة ، وكان معهم فى البيت ، جدار الدار ، فوقع ، فانكسرتْ رجله . وفرَّ ابن أُبَيْرق وكان معهم .

وأنفق ناسٌ من المسلمين واحتسبوا[٧] ، وأنفق عثمان – رضى الله عنه – نفقة عظيمة جهز بها جماعة من المُعْسرين فى تلك الغزوة . ورُوِىَ أنه حمل فى تلك الغزاة على تسعمائة

---

(١) انظر فى غزوة تبوك ابن هشام ١٥٩/٤ والواقدى ٤٢٥ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١١٨ والبخارى ٢/٦ والطبرى ١٠٠/٣ وابن حزم ص ٢٤٩ وابن سيد الناس ٢١٥/٢ وابن كثير ٢/٥ والنويرى ٢٥٢/١٧ .

(٢) زيادة من ر وابن هشام وغيره ، أى أن الوقت كان شديد الحرارة وكان الناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم .

(٣) ورى : كنى

(٤) هكذا فى ر وفى الأصل : فيهم

(٥) هكذا فى ر وابن هشام وغيره ، وفى الأصل : المسلمين .

(٦) جاسوم : بئر كانت للهيثم بن التيهان بالمدينة .

(٧) احتسبوا : جعلوا ما أنفقوه حسبة لله يطلبون به الأجر والثواب .

بعير ومائة فرس وجهَّزهم حتى لم يفقدوا عِقالا ولا شِكالا[١] ، ورُوِىَ أنه أنفق فيها ألف دينار .

وفى هذه الغزوة أتى رسولُ الله – ﷺ – البكَّاءُون وهم سبعة : سالم بن عمير [من بنى[٢] عمرو] بن عوف ، وعُلْبة بن زيد أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن الحُمام من بنى سَلِمة ، وعبد الله بن المغفَّل المُزَنىّ وقيل : بل هو عبد الله بن عمرو المزنى ، وهَرَمىّ بن عبد الله أخو بنى واقف وعِرْباض بن سارية الفزارى . فاستحملوا[٣] رسول الله ﷺ ، فلم يجدوا عنده ما يحملهم عليه ، فتولَّوا وأعينهم تفيض من الدَّمع حَزَنًا أن لا يجدوا ما ينفقون . فَسُمُّوا البَكَّائين . وذكروا أن ابن يامين بن عُمَيْر[٤] النَّضْرى حمل أبا ليلى وعبد الله بن مغفَّل على ناضِحٍ[٥] له يعتقبانه[٦] ، وزوَّدهما تَمْرًا كثيرا . واعتذر المخلَّفون من الأعراب ، فعذرهم رسول الله عليه السلام .

/وخرج رسول الله ﷺ ، وضرب عسكره على باب المدينة ، واستعمل عليها محمد ابن مسلمة ، وقيل : بل سِباع بن عُرْفُطة ، وقيل : بل خلَّف عليها على بن أبى طالب – رضى الله عنه – وهو الأثبت : أن رسول الله – ﷺ – خلَّف عليا (فى) غزوة تَبُوك ، فقال المنافقون : استثقله ، فذكر ذلك علىّ – رضوان الله عليه – لرسول الله – ﷺ – فى خبر سعد ، فقال : كذبوا ، إنما خلَّفتك لما تركت ورائى ، فارجعْ ، فاخْلُفْنى فى أهلى وأهلك ، فأنت منى بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبىَّ بعدى . والآثار بذلك متواترة صِحاح قد ذكرت كثيرا منها فى غير هذا الموضع . ١٣٤ و

وخرج عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول بعسكره ، فضربه على باب المدينة أيضا ، فكان عسكره – فيما زعموا – ليس بأقل العسكريين ، وهو يُظهر الغزاة مع رسول الله ، ﷺ .

---

(١) هكذا فى ابن حزم ، وفى الأصل ور : شيئاً . وشكال الدابة ما تشد به قوائمها ، وعقال البعير ما يشد به ذراعه مع وظيفه عند بروكه .

(٢) زيادة من ر وابن هشام .

(٣) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه من الابل .

(٤) هكذا فى الأصل ور وابن هشام ، وفى بعض المراجع : عمرو .

(٥) الناضح : البعير يستقى عليه

(٦) يعتقبانه : يتبادلانه ويتناوبانه .

فلما نهض رسول الله ﷺ تخلَّف عبد الله بن أُبَى بن سلول فيمن تخلَّف من المنافقين وأهل الرِّيْب ، وكانوا نَيِّفًا وثمانين رجلا ، خلَّفهم سوء نياتهم ونفاقهم .

وتخلَّف فى هذه (الغزاة) من صالحى المسلمين ثلاثة[١] رجال ، وهم : كعب بن مالك الشاعر من بنى سَلِمة ، ومُرَارة بن ربيعة - ويقال ابن الربيع - من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أُمية الواقفى . فافتقدهم رسول الله - صلى الله/عليه وسلم - بعد يوم أو ١٣٤ ظ
يومين ، فقيل له : تخلَّفوا . فعجب من ذلك ، وعزَّ عليه لأنه كان يعرف إيمانهم وفضلهم .

ونهض ﷺ ، فخَطر[٢] على حِجْر ثمود[٣] ، فأمر أصحابه أن لا يتوضئوا من بئر ثمود ، ولا يَعْجنوا خُبْزًا بمائها ، ولا يستعملوا شيئا منه ، فقيل له : إن قوما عجنوا منه ، فأمر بالعجين ، فطُرح للإبل علَفًا . وأمرهم أن لا يستعملوا ماء بئر الناقة فى كل ما يحتاجون إليه . وأمر أصحابه - عليه السلام - بأن لا يدخلوا بيوت ثمود ، وقال : لا تدخلوا [بيوت][٤] هؤلاء المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين [خشية] أن يصيبكم مثل ما أصابهم . ونهاهم أن يخرج أحدهم منفردا ، فخرج رجلان من بنى ساعدة ، كل واحد منهما منفرد عن صاحبه ، أحدهما يريد الغائط ، فخُنق ، فأُخبر النبى عليه السلام ، فدعا له ، فشُفى . والآخر خرج فى طلب بعير له فأخذته الريح ورمته فى جبل طيِّىء ، فردَّته بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ . وعطِش الناس فى تلك الغزاة عطشا شديدا ، فدعا رسول الله - ﷺ - رَبَّه ، فأرسل[٥] عليهم سحابة ارتووا منها ودوابُّهم وإبلهم ، وأخذوا حاجتهم [من الماء] .

وأضلَّ - ﷺ - ناقته ، وقال منْ فى قلبه نفاق : محمدٌ يدَّعى أن[٧] خبر السماء يأتيه

---

(١) فى ابن هشام ومصادر أخرى أنهم كانوا أربعة بزيادة أبى خيثمة غير أنها تعود فتذكر مسارعته إلى الرسول وانتظامه فى سلك الجيش .

(٢) خطر : مر وسار .

(٣) حجر ثمود : هى المعروفة الآن باسم مدائن صالح .

(٤) زيادة من ر وابن هشام .

(٥) فى الأصل ور : فأنزل وقد اخترنا رواية ابن هشام .

(٦) هكذا فى ر . وفى الأصل ، وردوا بهم وإبلهم .

(٧) فى الأصل : على أن .

[و] لا يدرى أين[١] ناقته فنزل الوحى بما قال هذا القائل على رسول الله ﷺ . / فدعا ١٣٥ و
أصحابه ، فأخبرهم بقول القائل ، وأخبرهم أن الله – عزَّ وَجَلَّ – قد عرَّفه بموضع ناقته وأنها فى موضع كذا قد تعلَّق خطامها بشجرة ، فابتدروا المكان الذى وصف عليه السلام ، فوجدوها هنالك . وقيل إن قائل ذلك القول زيْد بن اللصَيْت القَيْنُقَاعى وكان منافقا ، وقيل إنه تاب بعد ذلك ، وقيل لم يَتُبْ ، والله أعلم .

وفى هذه الغَزاة ذكروا أن رسول الله – ﷺ – ، رأى أبا ذَرٍّ يمشى فى ناحية العسكر وحده ، فقال : يرحم الله أبا ذَرٍّ يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعَثُ وحده . فكان ، كما قال ﷺ : مات بالرَّبَذَةِ[٢] وحده ، وأُخْرج بعد أن كُفِّن إلى الطريق يُلْتَمَسُ مَنْ يُصلِّى عليه ، فصادف إقبال ابن مسعود من الكوفة فصلَّى عليه . وكان ممن سمع هذا الحديث ، فَحدَّث به يومئذ أيضا .

ونزل القرآن من سورة براءة وسورة الأحزاب بفضيحة المنافقين الذين كانوا يخذِّلون المسلمين ، وتاب من أُولئك مخشِّن[٣] بن حُمَيِّر ، ودَعَا الله أن يكفِّرَ عنه بشهادة يخفى بها مكانه ، فقُتل يوم[٤] اليمامة ولم يُوجَدْ له أثر .

[بعث[٥] خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دُوْمَة[٦]]

وبعث رسول الله – ﷺ – خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك صاحب دومة ، وقال له : يا خالد إنك ستجده يصيد البقر . فأتاه خالد ليلا[٧] / وقرب من حِصْنه ، ١٣٥ ظ
وأرسل الله – تعالى – بقر الوحش فأتتْ تحكُّ حائط القَصْر بقرونها ، فنَشِط أُكَيْدر ليصيدها . وخرج فى الليل ، فأخذه خالد ، وبعث به إلى رسول الله ﷺ ، فعفَا عنه النبى

---

(١) هكذا فى ابن هشام وغيره وفى الأصل ور : حيث .

(٢) الربذة : موضع قرب المدينة .

(٣) قال ابن هشام : ويقال مخشى .

(٤) هو أشهر أيام الردة وفيه قتل مسيلمة الكذاب .

(٥) انظر فى هذا البعث ابن هشام ١٦٩/٤ وابن سيد الناس ٢٢٠/٢ والنويرى ٣٥٦/١٧ .

(٦) دومة : هى دومة الجندل ، قرية كانت بشمالى نجد ، وقد مر بنا التعريف بها فى غزوة دومة الجندل .

(٧) قال ابن سعد إنه كان فى أربعمائة وعشرين فارسًا وأنه صالح أكيدر دومة على ألفى بعير وثمانمائة شاة وأربعمائة درع وأربعمائة رمح .

عليه السلام ، وردَّه إلى حصنه بعد أن صالحه على الجِزْية . وصالح يُحنَّة بن رُؤبة صاحب أَيْلة[١] على الجزية .

[العودة من تبوك]

وأقام رسول الله – ﷺ – بتبوك بضع عشرة ليلة ، ولم يتجاوزها[٢] ، ثم انصرف . وكان فى طريقه ماء قليل ، فنهَى أن يسبق أحد إلى الماء ، فسبق إليه رجلان ، فاستنفدا ما فيه ، فسبَّهما رسول الله ﷺ ، وقال ما شاء الله أن يقول . ثم وضع يده فى الماء ودعا الله فيه بالبركة ، فجاشت العين بماءٍ عظيم كفَى الجيش كله . وأخبر – عليه السلام – أن ذلك الموضع سيُمْلأُ جِنانا . (فكان كذلك) . وبنى رسول الله – ﷺ – بين تبوك والمدينة مساجد كثيرة نحو ستة عشر مسجدا ، أولها مسجد بناه بتبوك وآخرها بذى خُشُبٍ[٣]

مسجد الضِّرار

وكان أهل مسجد الضِّرار قد أتوه وهو متجهِّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذى العَيْلة[٤] والحاجة والليلة المطيرة ، وإنا نحبّ أن تأتينا فتصلى فيه ، فقال لهم : أنا فى شغل السفر ، وإذا انصرفتُ فسيكون[٥] . فلما انصرف رسول الله ﷺ أمر فى منصرفه بهدم مسجد الضِّرار : / أمر بذلك مالك بن الدُّخْشم ومعن بن عدى وعاصم بن ١٣٦ و
عدى أخاه وأمر بإحراقه ، وقال لهم : اخرجوا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدموه وأحرقوه ، فخرجوا مسرعين . وأخرج مالك بن الدُّخْشم من منزله شعلة نار . ونهضوا فأحرقوا المسجد وهدموه وكان الذين بنوه : خِذام بن خالد من بنى عُبيْد بن زيد أحد بنى

---

(١) أيلة : كانت ثغرًا على خليج العقبة أو بقربه . وجاء فى صلح الرسول له وللأكيدر أنه صالحهما أيضًا على تبوك وتيماء بحيث تدفعان الجزية .

(٢) فى ابن سعد : أن الرسول أقام على تبوك عشرين ليلة .

(٣) ذو خشب : على مرحلة من المدينة .

(٤) العيلة : الفقر ، وفى ابن هشام : العلة .

(٥) فسيكون : لم يصرح الرسول بما سيكون ، وكأنه انتوى هدم المسجد منذ سمع به ، لأن من اتخذوه أرادوا به ستر غايتهم من التفرقة بين المسلمين .

عمرو بن عمرو بن عوف ومن داره أُخْرج مسجد الضِّرار ، ومعتِّب بن قُشَيْر من بنى ضُبَيْعة ابن زيد ، وأبو حبيبة بن الأَزْعر من بنى ضبيعة [١] بن زيد ، وعبَّاد بن حُنَيْف أخو سهل ابن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه : مجمِّع وزيد ابنا جارية ، ونَبْتَل بن الحارث من بنى ضُبَيْعة ، وبَحْزَج وهو من بنى ضُبَيْعة ، وبِجاد بن عثمان من بنى ضبيعة [ووديعة [٢] بن ثابت] من بنى أُمية بن زيد . وثعلبة بن حاطب مذكور فيهم ، وفيه نظر ، لأنه قد شهد بدرا .

ومات عبد الله ذو البجاد [ين] المُزنى فى غزوة تبوك ، فتولَّى رسول الله – ﷺ – وأبو بكر وعمر غَسْله ودَفْنه ، ونزل رسول الله – ﷺ – فى قبره ، وقال : اللهم إنى راضٍ عنه ، فارْضَ عنه .

[حديث [٣] كعب بن مالك وصاحبيه المتخلفين]

وأما اختصار حديث كعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلَّفوا عن رسول الله – ﷺ – / فى غزوة تبوك لغير ريبة فى الدين ولا تهمة نفاق إلا ما كان من علم الله فى إظهار حالهم والزيادة فى فضلهم ، رويناه من طرق صحيحة لا أُحصيها كثرة عن ابن شهاب ، وخرَّجه المصنفون وأصحاب المسانيد . ذكره ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه حدَّثه ، قال : سمعت أبى كعبَ بن مالك ، قال ، فذكر الحديث ، وفيه قال كعب بن مالك : ١٣٦ ظ

فلما بلغنى أن رسول الله – ﷺ – قد توجه قافلا من تبوك ثاب إلىّ لُبّى وعلمت أنى قد فعلت ما لم يرض الله ورسوله فى تخلُّفى عنه . فقلت أكذبه ، وتذكرت ما يكون الكذب الذى أخرج به من ذلك ، فلم يتَّجه لى . فلما قيل إن رسول الله – ﷺ – قد أظل [٤]

---

(١) هكذا فى ر وابن هشام وغيره ، وفى الأصل : صعصعة .

(٢) زيادة من ر وابن هشام .

(٣) انظر فى هذا الحديث ابن هشام ١٧٥/٤ وصحيح البخارى ٣/٦ وسنن أبى داود ٢٧٧/١ وراجع فى أسماء الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك المحبر لابن حبيب ص ٢٨٤ .

(٤) أظل : أشرف وقرب .

قادما زاح[١] عنى الباطل ، وعلمت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق . فلما صبَّح[٢] رسول الله – ﷺ – المدينة نزل بالمسجد ، فصلَّى ركعتين . ثم جلس فجاءه المتخلفون ، فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فَقَبِل منهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله . وجئتُ فسلَّمت عليه فتبسَّم تبسُّمَ المغضب ، وقال لى : ما خلَّفك ؟ ألم أكن ابتَعْتَ ظهرك[٣] ؟ فقلت : والله يا رسول الله لو جلست بين يدى غيرك لرجوت أن
١٣٧ و أقيم عنده عذرى لأنى أُعطيت جَدلا[٤] ولكنى / قد علمتُ أنى إن كذَبتك اليوم أطلعك الله عليه[٥] غدا ، ففضحت نفسى . فوالله ما كان لى عذر فى التخلف عنك ، وما كنت قط أقوى منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدَقكم ، فقُمْ حتى يقضى الله فيك ، فقمت ومعى رجال من قومى : بنى سَلِمة يقولون : ما علمناك أتيتَ قط غير هذا الذنب ، أفلا اعتذرت إليه فيسعك ما وسع المتخلفين ؟ وكان يكفيك استغفار رسول الله ﷺ حتى هممت أن أنصرف إلى رسول الله فأُكذب نفسى ثم قلت : هل لقى مثل هذا أحدٌ غيرى ؟ قالوا : [نعم][٦] رجلان قالا مثل مقالك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قلت : منْ هما ؟ قالوا : مُرَارة بن ربيعة العمْرى وهلال بن أُمية الواقفى . فذكروا لى رجلين صالحين فيهما أُسْوة ، فَصَمَتُّ حين ذكروهما لى . ونهى رسول الله – ﷺ – عن كلامنا أيها الثلاثة خاصة[٧] ، فاجتنبنا الناسَ وتغيَّروا لنا ، حتى تنكرتْ لى نفسى والأرض التى أنا فيها . فأما صاحباى فقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أخرج ، فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق لا يكلِّمنى أحد ، وآتى رسول الله ﷺ فأُسلِّم عليه ولا أسمعه يردّ علىّ ، فأقول : ليت شعرى هل ردَّ فى نفسه . وكنت / أُصلِّى قريبا ١٣٧ ظ منه ، وأُسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلىَّ ، فإذا التفتُّ نحوه أعرض عنى . حتى إذا طال ذلك علىّ من جَفْوة المسلمين مشيتُ حتى تسوَّرْت[٨] جدار (حائط) أبى

---

(١) زاح : ذهب .
(٢) صبح المدينة : دخلها صباحًا .
(٣) الظهر : الدابة . وفى البخارى : ألم تكن قد ابتعت ظهرك .
(٤) جدلا : فصاحة ولسنا وقوة حجة .
(٥) عليه : أى على الكذب .
(٦) زيادة من ابن هشام وصحيح البخارى .
(٧) خاصة : أى من المتخلفين .
(٨) تسورت : علوت .

قتادة ، وهو ابن عمى وأحبُّ الناس إلىَّ . فسلَّمت عليه ، فوالله ما زاد[١] على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة نشدتك الله هل تعلم أنى أُحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت ، فناشدته ثانية ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى فعدت فوثبت [فتسوَّرت][٢] الجدار ، وخرجت . ثم غدوت إلى السوق فإذا رجل يسأل عنى من نَبط[٣] الشام القادمين بالطعام إلى المدينة ، يقول : من يدلُّ على كعب بن مالك ، فجعل الناس يشيرون له إلىَّ ، فجاءنى ، فدفع إلىَّ كتابا من ملك غَسَّان . فإذا فيه : « أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هَوان ، فالحقْ بنا نُواسِك » . فقلت حين قرأته : وهذا من البلاء أيضا أن يطمع فىَّ رجل من أهل الشِّرك ، فعمدت إلى تَنُّور[٤] ، فسجَرْتُ[٥] فيه الكتاب . وأقمت حالى حتى إذا مضت أربعون ليلة إذا رسولُ رسولِ الله أتانى ، فقال لى : رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أُطلِّقها أم ماذا ؟ قال : [لا][٦] بل اعتَزِلْها ولا تَقْربها . وأرسل إلى صاحبىَّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى / فيهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض . وجاءت امرأة هلال بن أُمية ١٣٨ و
رسولَ الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أُمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربنَّك ، قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إلىّ ، وما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومى هذا حتى تخوَّفت على بصره . وقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله – ﷺ – فى خدمة امرأتك فقد أذن لهلال بن أمية ؟ فقلت : والله لا أفعل ، إنى لا أدرى ما يقول لى وأنا رجل شاب .

قال : فلبثنا فى ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله – ﷺ – المسلمين عن الكلام معنا . فلما صليت [الصبح][٧] صبح خمسين ليلة وأنا قد ضاقت

---

(١) فى ر : وصحيح البخارى : ما ردّ .

(٢) زيادة من ابن هشام والبخارى .

(٣) واضح ما يدل عليه هذا الخبر من أن أنباط فلسطين والأردن كانوا يسهمون فى التجارة حتى ظهور الإسلام وكأن الغساسنة وغيرهم يتخذونهم جواسيس لهم .

(٤) تنور : موقد نار .

(٥) سجرته : أحرقته .

(٦) زيادة من ر وابن هشام والبخارى .

(٧) زيادة من ر وابن هشام . وفى البخارى : فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة .

علىّ الأرض بما رَحُبَتْ[١] وضاقت علىّ نفسى ، فأنا كذلك إذ سمعت صوت صارخ قد وافى على ظهرَ سلْع[٢] [ينادى[٣] بأعلى صوته] : يا كعب بن مالك أَبْشِرْ ، فخررتُ لله ساجدا وعلمت أن قد جاءَ الفرج ، وآذنَ رسول الله – ﷺ – بتوبة الله علينا حين صَلَّى الفجر – فذهب الناس يبشِّروننا . وركض رجل إلىَّ فرسًا وسعى ساعٍ مِنْ أَسْلم حتى وافى على الجبل ، وكان الصوت أَسرع من الفرس .

فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشِّرنى نزعت ثوبىّ فكسوتهما إياه ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين / فلبستهما ثم انطلقت أتيمَّم[٤] رسول الله ﷺ ، وتلقانى الناس ١٣٨ ظ
يبشِّرونى بالتوبة ، ويقولون : لِتَهْنِك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله – ﷺ – جالس ، حوله الناس . فقام إلىّ طلحة بن عبيد الله ، فحيَّانى وهنَّأنى ، ووالله ما قام إلىّ رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال : فلما سلمت على رسول الله – ﷺ – قال [لى][٥] ووجهه يبرق من السرور : أَبْشِرْ بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أُمك ، قلت : أمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله . قال : وكان رسول الله إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى إلى الله أن أَنْخَلِعَ من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسول الله – ﷺ – أَمْسِكْ عليك بعض مالك فهو خير لك . قلتُ إنى ممسكٌ سهمى الذى بِخَيْبَر . وقلت : يا رسول الله إن الله قد أنجانى بالصدق وإن من توبتى أن لا أُحدِّث إلا صدقا ما بقيت . وكان ما نزل فى شأنى من القرآن قوله تعالى جلَّ ذكره : (وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا[٦] حتى إذا ضاقتْ عليهم الأرضُ بما رحُبَتْ) إلى قوله : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

---

(١) رحبت : اتسعت .

(٢) سلع : جبل بالمدينة .

(٣) زيادة من رواية هشام .

(٤) أتيمم : أقصد .

(٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) وفى تتمة حديث كعب بن مالك تعليقاً على قوله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) : وليس الذى ذكر الله من تخليفنا عن الغزوة ولكن تخليفه إيانا وإرجائه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه . انظر ابن هشام ١٨١/٤ .

إسلام[١] ثقيف

/ ولما كان فى رمضان سنة تسع من الهجرة منصرفَ رسول - ﷺ - من تبوك أتاه وفد ١٣٩ و
ثقيف . وقد كان عُرْوة بن مسعود الثقفى لحق برسول الله - ﷺ - فى حين انصرافه من حِصار الطائف ، فأدركه قبل أن يدخل المدينة ، فأسلم . وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام . وكان سيد قومه ثقيف ، فقال له رسول الله - ﷺ - : إنهم قاتلوك . وعرف رسول الله - ﷺ - امتناعهم[٢] ونخوتهم ، فقال : يا رسول الله إنى أحَبُّ إليهم من أبكارهم[٣] . ووثق بمكانه منهم فانصرف إليهم ودعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنه قد أسلم . فرموه بالنَّبْل ، فأصابه سَهْم ، فقتله . فزعمت بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، فقيل له : ما ترى فى دمك ؟ فقال : كرامةٌ أكرمنى الله بها ، وشهادةٌ ساقها إلىّ . فليس فىَّ إلا ما فى الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله - ﷺ - قبل أن يدخل[٤] إليكم . وأوصى أن يدفن معهم . فهو مدفون - خارج الطائف - مع الشهداء . وذكروا أن رسول الله - ﷺ - قال : مثله فى قومه مثل صاحب ياسين[٥] فى قومه .

ثم إن ثقيفا رأوا أن لا طاقة لهم بما هم فيه من خلاف جميع العرب ومغاورتهم لهم والتضييق عليهم ، فاجتمعوا على أن يرسلوا من أنفسهم رسولا ، كما أرسلوا عروة ، فكلَّموا / عَبْد يا لِيل بن عمرو بن عمير ، وكان فى سنِّ عروة بن مسعود ، فى ذلك ، فأبَى ١٣٩ ص
أن يفعل ، وخشى أن يُصْنع به ما صُنع بعروة بن مسعود ، وقال : لست فاعلا إلا أن ترسلوا معى رجالا . فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة . فبعثوا مع عبد يا ليل : الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب ، وشُرَحْبيل بن

---

(١) انظر فى إسلام ثقيف ابن هشام ١٨٢/٤ وابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٥٢ وتاريخ الطبرى ٩٦/٣ وابن حزم ص ٢٥٥ وابن سيد الناس ٢٢٨/٢ وابن كثير ٢٩/٥ .

(٢) فى ابن هشام : نخوة الامتناع الذى كان منهم .

(٣) قال ابن هشام : ويقال من أبصارهم .

(٤) فى ابن هشام : قبل أن يرتحل عنكم .

(٥) ياسين ، أى سورة ياسين .

غيلان بن سلمة من بنى معتب[١] ، ومن بنى مالك : عثمان بن أبى العاصى بن بشر بن عبد دُهمان ، وأوس بن عوف أخا بنى سالم وقد قيل إنه قاتل عروة ، ونُمَيْر بن خَرَشة بن ربيعة .

فخرجوا حتى قدموا المدينة ، فأول من رآهم بِقَناة[٢] المغيرة[٣] بن شعبة ، وكان يرعى ركاب[٤] أصحاب رسول الله ﷺ [فى][٥] نوبته ، وكانت رِعْيَتُهَا نُوَبًا عليهم ، فترك عندهم الرِّكاب ، ونهض مسرعا ، ليبشِّر رسول الله - ﷺ - بقدومهم ، فلقى أبا بكر الصِّدِّيق ، فاستخبره عن شأنه فأخبره بقدوم وفد قومه : ثقيف ، للإسلام . فأقسم عليه أبو بكر أن يؤثره بتبشير رسول الله - ﷺ - بذلك ، فأجابه المغيرة إلى ذلك . فكان أبو بكر هو الذى بشر النبىّ - ﷺ - بذلك .

ثم رجع إليهم المغيرة . ورجع معهم ، وأخبرهم كيف يحيُّون رسول الله - ﷺ - ، فلم يفعلوا وحيَّوه بتحية الجاهلية . فضرب لهم - رسول الله - ﷺ - قُبَّةً فى ناحية المسجد / وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يختلف بينهم وبين رسول الله ﷺ ، ١٤٠ و
وهو الذى كتب الكتاب لهم ، وكان الطعام يأتيهم من عند رسول الله ﷺ فلا يأكلون حتى يأكل منه خالد بن سعيد . وسألوا رسول الله - ﷺ - قبل أن يكتب كتابهم أن يترك لهم الطاغية[٦] وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين . فأبى رسول الله إلا هدمها . وسألوه أن لا يهدموا[٧] أوثانهم ولا يكسروها بأيديهم ، فأعفاهم رسول الله - ﷺ - من كسرها بأيديهم ، وأبى أن يدع لهم وَثَنًا . وقالوا إنما أردنا أن نَسْلَمَ بتركها من سفهائنا ونسائنا ، وخِفْنا أن نروِّع قومنا بهدمها حتى ندخلهم الإسلام وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، فقال لهم : لا خير فى دين لا صلاة فيه .

---

(١) هما مثل عبد ياليل من الأحلاف .

(٢) قناة : واد بالمدينة .

(٣) ثقفى من أبناء عمومتهم وكان قد أسلم وحسن إسلامه .

(٤) الركاب : الإبل والخيل .

(٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) الطاغية : الصنم الكبير وكانوا قد بنوا للات كعبة كبيرة يحجون إليها .

(٧) فى الأصل : يهدم .

فلما كتب لهم رسول الله - ﷺ - كتابهم أمّر عليهم عثمان بن أبي العاصي ، وكان أحدثهم سنًا ، ورآه أحرصهم على تعلم القرآن وشرائع الإسلام . وأمره أن يُصلّي بهم وأن يَقْدُرهم بأضعفهم ولا يطوّل عليهم[١] . وأمره أن يتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا . وبعث معهم أبا سفيان بن حربٍ والمغيرة بن شُعْبة لهدم الأوثان والطاغية وغيرها ، فأقام أبو سفيان في ماله[٢] بذي الخرم[٣] . وقال للمغيرة : ادخل أنت على / قومك . فدخل ١٤٠ ظ
المغيرة ، وشرع[٤] في هدم الطاغية وهي اللات . وقام[٥] دونه قومُه بنو معتّب خشية أن يُرْمى كما رمى عروة بن مسعود ، وخرج نساءُ ثقيف يبكين اللات حُسَّرًا[٦] ويبكين عليها . فهدمها المغيرة وأخذ مالها وحليّها .

وقد كان أبو مُلَيْح بن عروة [بن[٧] مسعود] وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين[٨] قُتل عروة بن مسعود يريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعهم على شيء أبدا ، فأسلما . وقال لهما : تولّيا مِنْ شئتما ، فقالا : نتولّى الله ورسوله . فقال رسول الله - ﷺ - وحالفكما أبا سفيان بن حرب ، [فقالا[٩] : وحالفنا أبا سفيان بن حرب] .

فلما أسلم أهل الطائف ووجّه رسول الله - ﷺ - أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل أبو مُلَيْح بن عروة بن مسعود [رسول الله ﷺ] أن يقضي دين [أبيه] عروة من مال الطاغية . وسأله قارب بن الأسود بن مسعود مثل ذلك . والأسود وعروة أخوان لأب وأم . فقال رسول الله - ﷺ - للمغيرة وأبي سفيان : اقضيا دين عروة من مال الطاغية .

(١) أي لا يطول الصلاة .
(٢) أي بالطائف .
(٣) هكذا في الأصل وفي ر وابن هشام : الهدم ، وفي مصادر أخرى : الهرم بالراء
(٤) هكذا في ر وابن هشام وغيره ، وفي الأصل : في شرع ، وهو تحريف .
(٥) في الأصل : وأقام .
(٦) حسرا : مكشوفات الرءوس .
(٧) زيادة لتوضيح السياق .
(٨) هكذا في ر ، وفي الأصل : حتى .
(٩) زيادة من ر وابن هشام وغيره .

فقال قارب يا رسول الله [و] دين الأسود . فقال رسول الله ﷺ : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب : يا رسول الله لكن تَصِلُ مسلما ذا قرابة يعنى نفسه إنما الدَّيْنُ علىّ وأنا الذى أُطْلَبُ به . فأمر رسول الله – ﷺ – بقضاء دين الأسود بن مسعود من مال الطاغية . فقضَى أبو سفيان والمغيرة دَيْن الأسود/وعروة ابنى مسعود من مال الطاغية . ١٤١ و

حِجَّة[١] أَبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه سنة تسع

وأمر رسول الله – ﷺ – أبا بكر بالخروج إلى الحج وإقامته للناس ، فخرج أبو بكر لذلك[٢] ، ونزل صدر[٣] سورَة براءة بعده . فقيل له : يا رسول الله لو بعثتَ بها إلى أبى بكر يقرؤها على الناس فى الموسم ؟ فقال : إنه لا يؤدِّيها عنى إلا رجلٌ من أهل بيتى . ثم دعا عليًّا ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذِّن بها فى الناس يوم النَّحْر إذا اجتمعوا بِمِنًى . وأمره بما ينادى[٤] به فى الموسم – فخرج على ناقة رسول الله – ﷺ – العَضْباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فقال له أبو بكر لما رآه : أميرا[٥] أو مأمورا ، قال : بل مأمورا .

ثم نهضا ، فأقام أبو بكر للناس الحَجّ سنة تسع على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية . وقد قيل إن حجة أبى بكر وقعتْ حينئذ فى ذى القِعْدة على ما كانوا عليه من

---

(١) انظر فى حجة أبى بكر بالناس سنة تسع ابن هشام ١٨٨/٤ وابن سعد ج٢ ق١ ص ١٢١ وتاريخ الطبرى ١٢٢/٣ والبخارى ١٦٧/٥ وابن حزم ص ٢٥٨ وابن سيد الناس ٢٣١/٢ وابن كثير ٣٦/٥ .

(٢) قال ابن سعد إنه خرج من المدينة فى ثلاثمائة رجل وبعث معه الرسول بعشرين بدنة وساق أبو بكر خمس بدنات .

(٣) وفيه براءة من عهد كل مشرك لم يسلم أن يدخل المسجد الحرام بعد هذا العام التاسع للهجرة وبيان لمدة مضروبة هى أربعة أشهر حتى يرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لا يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام طوعا أو كرها . وسرعان ما دخل فى دين الله من كان لا يزال مشركا . وسيوضح ابن عبد البر ذلك عما قليل .

(٤) فى ابن هشام أن عليا كان ينادى فى الناس : لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . وقد كره الرسول أن يحج فى هذا العام ، ولا يزال مشركون عراة يشركون المسلمين فى حجهم ، وسيذكر ابن عبد البر ذلك .

(٥) يريد أبو بكر : هل استعمل الرسول عليا أميراً على الحج أو أنه جاء لغرض آخر . وذكر له علىّ ما جاء له من تلاوة صدر سورة براءة على الناس فى الحج .

النسيىء فى الجاهلية . وروى معمر ، عن [ابن] أبى نُجيْح ، عن مجاهد فى قوله [تعالى] : (إنما النسيىء زيادةٌ فى الكفر) قال : كانوا يحجون [فى كل] [1] شهر عامين ، حَجُّوا فى ذى الحِجَّة عامين ، ثم حَجُّوا فى المحرَّم عامين ، ثم حجوا فى صفر عامين ، حتى وافت حجة أبى بكر [فى [2] الآخر من العامين] فى ذى القعدة قبل حجة النبى – ﷺ – . ثم حَجَّ النبى – ﷺ – من قابل [فى] / ذى الحجة ، فذلك قوله (ﷺ) حيث يقول « إن الزمن قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » . ١٤١ ظ

قال معمر ، قال الزهرى ، عن سعيد بن المسيب :

لما قفل رسول الله – ﷺ – من حُنَيْن اعتمر من الجِعْرانة وأَمَّر أبا بكر على تلك الحِجَّة .

وذكر ابن جريج عن مجاهد ، قال :

لما انصرف رسول الله – ﷺ – من تَبوك أراد الحج ثم قال : إنه يحضر البيت عراةٌ مشركون يطوفون بالبيت ولا أُحبُّ أن أحجَّ حتى لا يكون ذلك . فأرسل أبا بكر ثم أردفه عليا .

قال أبو عمر :

بعث عليا يَنْبِذُ إلى كل ذى عهد عهده ، ويعهد إليهم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان مع سائر ما أمره أن ينادى به فى كل موطن من مواطن الحج . فأقام الحج ذلك العام سنة تسع أبو بكر . ثم حَج رسول الله ﷺ – من قابل حِجته التى لم يحجّ من المدينة غيرها . فوقعت حِجةُ رسول الله – ﷺ – فى العام المقبل فى ذى الحِجة ، فقال : « إن الزمان قد استدار – الحديث » . وثبَّت الحجَّ فى ذى الحجة إلى يوم القيامة . فلما كان يوم النَّحْر فى حجة أبى بكر قام علىٌّ فأذَّن فى الناس بالذى أمره به رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر . رُوِىَ فى حديثه هذا : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يحجُّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوف / بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله ١٤٢ و

---

(١) زيادة من ر. والعبارة فى الأصل : كانوا يحجون فى شهر ذى القعدة عامين .

(٢) هكذا فى ر. وفى الأصل : الأخيرة .

عهد فهو إلى مدَّته . وأجَّل الناس أربعة أشهر من يوم أذَّن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمنهم وبلادهم ثم لا عَهْد لمشرك ولا ذِمَّةَ لأحد كانت له عند رسول الله ﷺ . فلم يحج بعد ذلك العام مشركٌ ولم يطف بالبيت عُرْيان .

حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا عباد بن العوام ، قال : حدثنا سفيان بن حُصَيْن ، قال : حدثنى أبو بشر ، عن مجاهد :

أن أبا بكر حجَّ فى ذى القعدة .

قال [1] : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا عباد بن عباد[2] ، قال : قال سفيان بن حُصَين[3] (قال) وأخبرنى إياس بن معاوية ، عن عكرمة بن خالد المخزومى .

أن أبا بكر حَجَّ فى ذى القِعْدة ، فلما كان العام المقبل حجَّ رسول الله – ﷺ – فى ذى الحجة ، فخطب الناس . وذكر الحديث .

حدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا بكر بن حماد ، وحدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا مسدَّد ، قال : حدثنا إسماعيل بن عُلْبة ، قال : حدثنا أيوب ، عن محمد ، عن أبى بكرة ، أن النبى – ﷺ – خطب فى حِجته ، فقال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات /والأرض ، السنة اثنا عشر شهر ، منها أربعة حُرُمٌ : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان » . ١٤٢ ظ

---

(١) لعله ابن حرب فى سند الحديث السالف .

(٢) هكذا فى الأصل ور ، ولعله العوام كما فى السند السابق .

(٣) فى الأصل ور : حسين ولعله تحريف .